أحمد الميداوي
tbou20@yahoo.fr

أصوات اليمين المتطرف... الفريسة المخلصة

اليمين المتطرف الفرنسي لا يخيف فقط مرشح اليمين نيكولا ساركوزي الذي يلعب في حملته الانتخابية بثلاث ورقات هي الهجرة والأمن والهوية الوطنية، وهي لعبته الدائمة في فترات الانتخابات، بل يخيف أيضا المرشح الاشتراكي فرانسوا هولاند الذي تعطيه كل استطلاعات الرأي أربع إلى ست نقاط زيادة عن الرئيس المنتهية ولايته. فقد سعى متصدر السباق في انتخابات الرئاسة إلى التقرب من ناخبي اليمين المتشدد (6.5 ملايين ناخب) ممن حملوا مرشحتهم مارين لوبن إلى المركز الثالث، حتى لا يفقد كتلة انتخابية وازنة قد تحسم نتائج الجولة الثانية لغير صالحه.

وكما فعل ساركوزي، مرشح الاتحاد من أجل حركة شعبية، الذي جعل من مخزون ناخبي الجبهة الوطنية محور حملته الانتخابية بتأكيده غير ما مرة على أنه «سمع وفهم رسالة فرنسا التي تتألم»، اهتدى مرشح الحزب الاشتراكي، هو الآخر، إلى وضع مسائل الهجرة والحدود والهوية الوطنية في صلب خطابه، وتلوينه تلوينا يمينيا، جاعلا من المهاجرين محورا أساسيا في حملته الانتخابية.

فقد عمد إلى اقتراض بعض أفكار اليمين المتطرف وتغليفها بمسحة اشتراكية حتى تمر من دون إزعاج معسكره الاشتراكي.. صحيح أنه لم يقل بالعودة بالهجرة إلى الصفر كما تطالب بذلك زعيمة الجبهة الوطنية، ولم يقل أيضا بتقليص الهجرة بنسبة 50% كما يصر على ذلك ساركوزي، ولكنه غازل مع ذلك اليمين المتطرف بتأكيده على أنه سوف يحد من الهجرة نظرا للأزمة الاقتصادية التي تحيق بالبلاد، وأنه يؤيد حظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة حتى وإن كان قد غاب عن التصويت حينما صادق البرلمان الفرنسي على قانون حظره.

ويأمل هولاند بهذا «الانحراف» عن خطابه الأول منع انزلاق أوراق اقتراع الملايين الستة لصالح ساركوزي، وهو ما يمكن أن يقلب كل التوقعات، حيث تصويت عدد كبير من ناخبي لوبن يبقى الأمل الوحيد أمام ساركوزي للفوز يوم الأحد سادس ماي.

وكان ساركوزي قد فتح باب التنافس على جذب أصوات اليمين الشوفيني عندما أعاد، قبل أيام، إلى واجهة خطابه الهجرة والإسلام والهوية الوطنية. وهو ما دفع هولاند إلى القول إنه «يتعين الإنصات لأصوات الجبهة الوطنية»، لكنه أحجم عن التودد مباشرة وبشكل صريح لهذه الشريحة من الناخبين، حتى وإن اعتبر أن الأزمة التي تمر بها فرنسا تجعل من مسألة الحد من الهجرة الاقتصادية «أمرا ضروريا وجوهريا».

وفي رده عن سؤال تكرر عدة مرات في برنامج تلفزيوني بشأن ما إذا كان يعتقد أن عدد الأجانب في فرنسا أكبر من اللازم، بدا غامضا ومراوغا قبل أن يوضح موقفه في اليوم التالي بقوله إنه في حالة انتخابه، سوف يدعو البرلمان إلى تحديد حصة سنوية للوظائف التي يتولاها الأجانب القادمون من غير دول الاتحاد الأوروبي، وهو طرح ترددده مارين لوبن تحت تسمية «الأولوية للفرنسيين في العمل»، ويرددده أيضا ساركوزي تحت عنوان «الهجرة الانتقائية».

ووعد هولاند بالتعامل مع مسألتي «الحجاب والنقاب» من زاوية حظر ارتدائهما على المسلمات، الأول في المدارس، والثاني في جميع المؤسسات والأماكن العامة، وحتى في الرصيف. وكان هولاند ومعه الحزب الاشتراكي، إلى وقت قريب، ينبذ الأفكار الفرنسية التجريحية بشأن الحجاب. وقد سبق أن قال بالحرف بشأن حظر الحجاب في المدارس «أرفض الرأي الذي يعبر عنه البعض في فرنسا ويعتبر المرأة التي تختار غطاء لشعرها أقل شأنا من غيرها، وأعتقد أن المرأة التي تحرم من التعليم، تحرم كذلك من المساواة».

ومما يزيد من وقع وحساسية هذه المناقشات الدائرة تحت خلفية انتخابية حضيضية، الإحساس بأنها تستهدف في المقام الأول الإسلام والمسلمين، حيث ساركوزي لا يفرق بين الإسلام والهجرة من جهة، ويضع الإسلام في خانة ضيقة ومغلقة على النحو الذي يُفهم أنه غير قادر على التحاور والاختلاط مع الحضارة الغربية، من جهة أخرى.

والأدهى من ذلك أن ساركوزي يعتبر الإسلام دين المهاجرين فقط لجهله أو لتجاهله بأن الإسلام موجود في فرنسا منذ أكثر من قرن، وليس ظاهرة مهاجرة، بل هو عقيدة يدين بها عشر الفرنسيين وخمس البشرية.

وصراع الهوية الذي يشعل اليمين ويمين اليمين فتيله اليوم، يؤكد حجم الأرق الذي يعاني منه خصوم الإسلام الذين يجرّمون تارة الحجاب، وتارة البرقع، وتارة المآذن وإن كانت صامتة ممنوعة من رفع الآذان، من دون فهم أو تفهم لهذا الدين ومن دون استيعاب دلالاته الروحية لدى المسلمين دون تخوف من أي مد أو أي ضرر قد يلحق بالهوية التي ينشدها المرشحان معا.